الطريق الى «القمة العربية» الأولى

عدنان حسين

مع ان ست سنوات مرّت على انعقاد آخر قمة عربية عادية، فان اجتماعات القمة العربية، التي تضمّ الرؤساء والملوك والأمراء العرب، غدت معلماً بارزاً من معالم النظام الاقليمي العربي، وظاهرة ثابتة في الحياة السياسية العربية المعاصرة. فقد تكررت، منذ نشوئها حتى الآن، اكثر من ١٥ مرة. وعلى الرغم من تعطل دوراتها العادية في السنوات الست الاخيرة، الّا ان ثلاث قمم غير عادية عقدت خلال هذه المدة. ونشطت في الشهور القليلة الفائتة المساعي لاستئناف دوراتها العادية السنوية، التي كانت آخرها «الثالثة عشرة» تأجلت ولم تلغ.

وظاهرة القمة العربية صار عمرها، اليوم، ربع قرن. فأولاها عقدت في مطلع العام ١٩٦٤، وهي ارتبطت، كلياً، في نشوئها وتطورها، وفي مدها وجزرها ايضاً، بالقضية الفلسطينية ومسألة الصراع العربي ـ الصهيوني. وكان المشروع الاسرائيلي الخاص بتحويل مجرى نهر الاردن وروافده السبب المباشر للدعوة الى عقد القمة العربية الاولى والقمتين اللاحقتين. ولم يحدث ان عقدت قمة عربية، سواء أعادية كانت أم طارئة، دون ان يتضمّن جدول أعمالها بنداً، او أكثر، حول قضية فلسطين والصراع العربي ـ الصهيوني. وندر ان تقدم موضوع آخر على هذا الموضوع في أعمال القمم العربية.

والقمة الاولى دعا اليها الرئيس المصري الراحل جمال عبدالناصر في خطاب علني القاه بتاريخ ٢٣ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٣، في مدينة بورسعيد، بمناسبة «يوم النصر»، اقترح فيه عقد اجتماع عربي رفيع المستوى، على مستوى الرؤساء والملوك، لاتخاذ قرار سياسي بصدد التهديد الاسرائيلي بتحويل مجرى نهر الاردن وروافده، مشيراً الى الاجتماع الدوري الذي كان عقده رؤساء اركان حرب الجيوش العربية في القاهرة (٧ ـ ٩ كانون الاول ـ ديسمبر ١٩٦٣) وبحثوا خلاله في ما ينبغي اتخاذه من اجراءات لمنع اسرائيل من تحويل مجرى نهر الاردن وروافده، واحتمال قيامها باحتلال منابع المياه في سوريا، أو لبنان؛ وهو اجتماع وجد فيه رؤساء الاركان العرب انفسهم عاجزين عن فعل شيء بسبب استحكام الخلافات بين الحكومات العربية وعدم تنفيذ القرارات الصادرة عن جامعة الدول العربية، منذ العام ١٩٦٠، لانشاء قيادة عسكرية عربية موحّدة[١].

وفي ظرف ثلاثة اسابيع، تحقق لعبدالناصر ما أراد من دعوته تلك. فالى القاهرة حضر رؤساء وملوك الدول العربية الثلاث عشرة الاعضاء في الجامعة العربية، وعقدوا قمتهم الاولى، بمشاركة مندوب فلسطين في الجامعة العربية، أحمد الشقيري، والامين العام للجامعة، عبدالخالق حسّونة، في الفترة بين ١٣ و١٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٤.

فأي طريق أفضت الى استحداث هذا التقليد وتكريسه في تاريخ العرب المعاصر ؟